86292
الصوفية

الصُّوفِيَّة القَلَنْدَرِيَّة

تَارِيخُهَا
وَفَتْوَى شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ فِيهَا

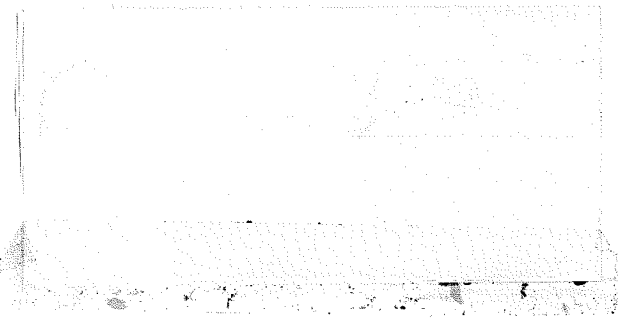

هدية من المؤلف
إلى مكتبة (ISAM) المعمورة
أبو الفضل
القونوي
١٤٢٢/٧/١٧

أبو الفضل محمّد بن عبد الله القُونوي

كافة الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م

يطلب الكتاب من :

المؤلف : ص. ب : ١١١٨ هاتف : ٠٥٤٣٥٠٤٥٦ـ المدينة المنورة
أو هاتف: ٨١٠٥٧١ - ٠١ بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

أما بعد ؛ فهذه دراسة تاريخية لزمر من الصوفية تحدَّث عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في فتوى له نُشرت في « مجموعة الفتاوى »، وأَنْشرها اليوم مع هذه النبذة التاريخية عنهم، لتكون موضِّحة للفتوى ، ومرجعاً في الموضوع الذي لم أقف على كتاب بالعربية خصّه بالبحث .

وقد استعنت بمصادر ومراجع عربية وتركية ذكرتها في آخر الكتاب ، وكانت دراسة المؤرخ التركي المعاصر أحمد ياشار أوجاق أكثرها نفعاً لي في استجلاء صورة عامة للقلندرية .

وقد جعلته في تمهيد وخمسة فصول :

الفصل الأول: مَنْ القلندري ؟ وما القلندرية ؟ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الملامة وأهلها .

المبحث الثاني: الشاهد في اصطلاح الصوفية .

الفصل الثاني: الناهضون بها . وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الجولقية وجمال الدين الساوي .

المبحث الثاني: من شعب القلندرية: الحيدرية، واليونسية، والرفاعية، والحريرية، وشعب أخرى .

الفصل الثالث: أحوالهم . وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عقائدهم ومبادئهم .

المبحث الثاني: لمحة شرعية في التحليق عند ذوي النهج القلندري.

الفصل الرابع: تراجم لبعض الشخصيات القلندرية. وفيه ثماني تراجم.

الفصل الخامس: الرأي فيهم . وفيه مبحثان:

المبحث الأول: رأي العلماء والصوفية.

المبحث الثاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية منهم، وفتواه فيهم.

والله أسأل أن ينفع به ، ويغفر للمؤلف كلَّ خطأ وقع فيه ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتب

أبو الفضل القونوي

المدينة المنورة ٢٣/ ٧/ ١٤٢٢هـ

تمهيد

لو أُخذت شخصية الحلاج (ت٣٠٩هـ) على أنها الشخصية التي فضحت الدخلاء الذين اكتسوا لبسة الزهاد الأوائل ، ثم قرروا أن يأخذوا بالتصوف منحى فلسفياً ليس فيه من سذاجته الأولى ما عُرف به لكانتْ شخصيَّتُهُ الأبرز في ذلك.

كان غيره يكتم ـ ولا يعنينا أمرهم ـ وكان الحلاج يظهر المنكر في ملامة لم تعهد من قبل فادعى المهدية والنبوة ثم قال بالحلول نافثاً ذلك فيمن حوله من أتباعه الذين بلغوا مرة الأربع مئة مريد وسمتهم بعض المصادر بالحلاجية، وقد ذكرت أقرب المصادر عهداً به أنه سافر إلى الهند لتعلم السحر والحيل والكيمياء.

وكان يكثر الترحال مع مجموعة من مريديه ذكر الفقيه البلخي (ت٤٨٥ هـ) عددهم، وقال إنهم خمسون. ألبسهم لبس الصوفية (وهي المرقعة والفوطة) وأعطى كلاً منهم عكازاً في يده وبثهم فكلما دنوا من حاضرة، ساروا للمِّ الزكوات وشحذ الناس.

وكانوا يسيحون في الجبال والسهول وهو معهم، وكان يجلس في الجبانة، وربما حمل بعض أتباعه المخلاة. ونقلوا عنه أنه حين يقرب من بلد فإنه يقيم خارجه ولا يدخلها ويظهر هناك مخاريقه لمن يأتي لمشاهدته

ويكتب للأعيان كتباً يدعوهم إليه ثم يسمعهم عبارات تعلمها من مشاهير الزهاد قبله.

ونقلِ الفقيه البلخي أيضاً أن الحلاج شرب الخمر وأنه رقص على جمر حافي القدمين ثم أورد حكاية جرت مع بعض أتباعه شرح له فيها الحيل التي كان يظهرها للعامة على سبيل الكرامة[1].

ويمكن للمتأمل في سيرة الحلاج وجماعات القلندرية بعده أن يقول دونما تردد إن نهج هذا الرجل يصلح عدّه من بدايات نهج القلندرية والملامة وإن لم يذكره الأولون بين أهلها.

وأمر آخر أضعه بين يدي الباحثين ليحققوه ويدققوه ألا وهو: هل كان محمد بن عبد الجبار النفري (كان حياً سنة ٣٥٩هـ)[2] من الحلاجية مريداً للحلاج أو بعض من ضربت أعناقهم وطوردوا من مريديه ؟ مثل شاكر الزاهد، ومحمد بن علي القنائي، وحيدرة، والسمري، وأبي مغيث، وابن حماد[3].

ولا ريب أيضاً أن الرعب الذي أعقب ضرب عنق زعيمهم وشيخهم الذي طيف برأسه في المناطق التي يتوافرون بها قد أجبرهم على التخفي والاستتار والتنقل في البلاد. ومن شبه المؤكد أن المنع الذي صدر للوراقين بشأن نسخ كتب الحلاج قد شمل مريديه، وليس ببعيد أن يكون النفري ممن نجح في

(١) انظر سيرة الحلاج في: (تاريخ بغداد): (٨/ ١١٢ـ١٤١)، وكتاب (بيان الأديان) لأبي المعالي محمد بن نعمت علوي المعروف بالفقيه البلخي (ص١٢٥ـ١٣٠) و(نشوار المحاضرة) للقاضي التنوخي (١/ ١٥٩)، و(الفهرست) لابن النديم: (ص٣٢٨ـ٣٣١) و(طبقات الصوفية) للبلخي (ص٣٠٧ـ٣١١).

(٢) هذا التاريخ على نسخة خطية ضمن رسائل فيها زيادات من مواقف النفري ليست بخطه، بيد أنه يتلوه جزء آخر بخط النفري من كلامه في سنة (٣٥٩هـ) بالبصرة. وهي بمكتبة يوسف آغا، رقم (٤٩٠٥) بقونية دلني عليها المؤرخ ميكائيل بايرام وأنا في زيارة لها.

(٣) انظر: (تاريخ بغداد) ٨/ ١١٢ـ١٤١).

إلقاء كلماته إلى بعض الوراقين ثم اختفى، وترك (مواقفه) للصوفية تتلقفها أيديهم في كل عصر. والأمر جدير بالتحقيق فيه.

وأذكر هنا قول إبراهيم بن شيبان الصوفي (ت٣٣٠هـ) عن الحلاج: « من أحب أن ينظر إلى ثمرات الدعاوى الفاسدة، فلينظر إلى الحلاج، وإلى ما صار إليه »[1] وأزيد أنا فأقول: ومن أحب أن ينظر إلى ما تؤول إليه دركات نهج الحلاج وكيف أن البدعة تَسْتَجْلِبُ البدعة، فلينظر إلى دركات ما آلت إليه القلندرية.

والذي أريد الإشارة إليه في هذا التمهيد أن من وصفوا بأنهم قلندرية أناس لهم سلف قد سبقوهم إلى بدعهم وهي صغيرة فما زال الشيطان يزين لهم الغلو فيها حتى كبرت وعظم بهم البلاء على الأمة الإسلامية.

هذا الانحراف عن المحجة البيضاء سجله علماء المسلمين قديماً، وحذروا الناس من مغبته. ويحسن بي أن أنقل لك من ذلك كلام ابن الجوزي رحمه الله، فهو نفيس في بابه.

قال ابن الجوزي:

« تأملت أحوال الصوفية والزهاد، فوجدت أكثرها منحرفاً عن الشريعة، بين جهل بالشرع، وابتداع بالرأي، يستدلون بآيات لا يفهمون معناها، وبأحاديث لها أسباب، وجمهورها لا يثبت. فمن ذلك، أنهم سمعوا في القرآن العزيز: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الغرور﴾[2].. ﴿إنما الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ﴾[3] ثم سمعوا في الحديث: « للدنيا أهون على الله من شاة ميتة على أهلها »، فبالغوا في هجرها من غير بحث في حقيقتها، وذلك أنه ما لم يعرف حقيقة الشيء فلا يجوز أن يمدح ولا أن يذم. فإذا

(١) انظر: (تاريخ بغداد) ٨/ ١٢٠.

(٢) آل عمران: (١٨٥).

(٣) الحديد: (٢٠).

بحثنا عن الدنيا رأينا أن هذه الأرض البسيطة التي جعلت قراراً للخلق، يخرج منها أقواتهم، ويدفن فيها أمواتهم. ومثل هذا لا يذم لموضع المصلحة فيه. ورأينا ما عليها من ماء، وزرع، وحيوان، كله لمصلحة الآدمي، وفيه حفظ لسبب بقائه، ورأينا بقاء الآدمي سبباً لمعرفة ربه، وطاعته إياه وخدمته، وما كان سبباً لبقاء العارف العابد يمدح ولا يذم. فبان لنا أن الذم إنما هو لأفعال الجاهل، أو العاصي في الدنيا، فإنه إذا اقتنى المال المباح، وأدى زكاته، لم يلم، فقد علم ما خلف الزبير، وابن عوف وغيرهما، وبلغت صدقة علي رضي الله عنه أربعين ألفاً. وخلف ابن مسعود تسعين ألفاً، وكان الليث بن سعد يستغلّ كل سنة عشرين ألفاً. وكان سفيان يتجر بمال، وكان ابن مهدي يستغلّ كل سنة ألفي دينار. وإن أكثر من النكاح والسراري كان ممدوحاً لا ملوماً، فقد كان للنبي ﷺ زوجات، وسراري. وجمهور الصحابة، كانوا على الإكثار من ذلك، وكان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أربع حرائر، وسبع عشرة أمة، وتزوج ولده الحسن نحواً من أربعمئة. فإن طلب التزوج للأولاد، فهو الغاية في التعبد، وإن أراد التلذذ فمباح، يندرج فيه من التعبد ما لا يحصى، من إعفاف نفسه والمرأة، إلى غير ذلك. وقد أنفق موسى عليه السلام من عمره الشريف عشر سنين في مهر بنت شعيب، فلولا أن النكاح من أفضل الأشياء، لما ذهب كثير من زمان الأنبياء فيه، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: « خيار هذه الأمة أكثرها نساء ». وقالت سرية الربيع بن خثيم: كان الربيع يعزل.

وأما المطعم فالمراد منه تقوية هذا البدن لخدمة الله عز وجل، وحق على ذي الناقة أن يكرمها لتحمله، وقد كان النبي ﷺ يأكل ما وجد، فإن وجد اللحم أكله، ويأكل لحم الدجاج، وأحب الأشياء إليه الحلوى والعسل. وما نقل عنه أنه امتنع من مباح. وجيء علي رضي الله عنه بفالوذج فأكل منه، وقال: ما هذا ؟ قالوا: يوم النوروز، فقال: نورزونا كل يوم. وإنما يكره

الأكل فوق الشبع، واللبس على وجه الاختيال والبطر. وقد اقتنع أقوام بالدون من ذلك، لأن الحلال الصافي لا يكاد يمكن فيه تحصيل المراد، وإلا فقد لبس النبي ﷺ حلة اشتريت له بسبعة وعشرين بعيراً. وكان لتميم الداري حلة اشتريت بألف درهم، يصلي فيها بالليل. فجاء أقوام، فأظهروا التزهد، وابتكروا طريقة زينها لهم الهوى، ثم تطلبوا لها الدليل، وإنما ينبغي للإنسان أن يتبع الدليل لا أن يتبع طريقاً ويطلب دليلها، ثم انقسموا: فمنهم متصنع في الظاهر، ليث الشرى في الباطن، يتناول في خلواته الشهوات، ويعكف على اللذات. ويُرى في الناس بزيه أنه متصوف متزهد، وما تزهد إلا القميص. وإذا نظر إلى أفعاله فعنده كبر فرعون. ومنهم سليم الباطن، إلا أنه بالشرع جاهل. ومنهم من تصدر وصنف فاقتدى به الجاهلون في هذه الطريقة، وكانوا كعمي اتبعوا أعمى، ولو أنهم تلمحوا للأمر الأول، الذي كان عليه الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، لما زاغوا. ولقد كان جماعة من المحققين، لا يبالون بمعظّم في النفوس إذا حاد عن الشريعة، بل يوسعونه لوماً. فنقل عن أحمد أنه قال له المروزي: ما تقول في النكاح ؟ فقال سنة النبي ﷺ، قال: قد قال إبراهيم. قال: فصاح بي وقال جئتنا ببُنَيّات الطريق! وقيل له أن سرياً السقطي قال: لما خلق الله تعالىٰ الحروف، وقفت الألف وسجدت الباء، فقال: نفروا الناس عنه. واعلم أن المحقق لا يهوله اسم معظم، كما قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير، كانا على الباطل ؟ فقال له: « إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرفه أهله ». ولعمري أنه قد وقر في النفوس تعظيم أقوام، فإذا نقل عنهم شيء فسمعه جاهل بالشرع قبله لتعظيمهم في نفسه كما ينقل عن أبي يزيد رضي الله عنه، أنه قال: تراعنت على نفسي فحلفت لا أشرب الماء سنة. وهذا إذا صح عنه، كان خطأ قبيحاً، وزلة فاحشة، لأن الماء ينفذ الأغذية إلى البدن، ولا يقوم مقامه شيء، فإذا لم يشرب فقد سعى في أذى